

البدو وبعض عوائدهم

لمجناب شاهين افندي مكاربوس من خطبة تلاها في المجمع العلمي الشرقي

كان العرب ينتمون قبل الاسلام الى قسمين كبيرين سكان المدن والامصار وهم الحضرم وسكان البراري والقفار وهم البدو وقد تغيرت شعرون الفريزيين بعد الاسلام ولا سيما البدو فقتصر بعضهم واشهر البعض الآخر في البلدان التي دانت لسلطنة المسلمين في بلاد العرب وسورية والعراق حتى حدود الهند وفي مصر ونوبيا وشالي السودان والصحراء الكبيرة حتى الافغانوس الانثنيكي . وهم يدينون الآن بالديانة الاسلامية ولم يزالوا مشهورين بالكرم والوفاء وعلو الهمة وابانة الضيم وحب الفزوك كما كان اسلافهم في ايام الرومان واليونان . ولم تجتمع كلمة العرب ولا حاولوا التسلط على البلدان البعيدة عنهم الا وقت الفتح الاسلامي ولكنهم فعلوا حيثما في قرن واحد ما لم تفعله امة اخرى في قرون كثيرة فانهم تساطروا على اكثر المعمورة وانتدت شوكتهم من اقاصي الهند الى الانثنيكي ومن اواسط افريقية الى بلاد الروس . وتخصر اكثرهم في البلدان التي دخلوها ونزحوا تدميم بتدنيا ولكن بقي كثير من منهم على حالة البداوة فلم يتغير عوائدهم واخلاقهم عما كانت عليه قبل الاسلام الا قليلا وذلك نتيجة لازمة عن انقطاعهم الى القفار الا ان الترييين من الامصار منهم فسدت لغتهم بامتزاجها بلغات الامم المجاورة لهم حتى تندوا ملكة العربية الفصحى قبل زمان ابن خلدون . وقد ذكر هذا المؤرخ الشهير طرفاً من اشعارهم وهي اقرب الى المعنى والعتابا والشراقي الخارج في هذه الايام منها الى الشعر العربي الموزون . من ذلك قولهم في " زمام الزناتة " مقارنهم بافريقية وارض الزراب

تقول فتاة الحبي سمدى وهاضها
 لها في ظهون الباكين عويل
 اباساتي عن قبر الزناتي خاينه
 خذ الذمت مني لا تكون هيل
 تراه العالبي الواردات ورفقه
 من الربط عيساري بناه طويل

وقولهم عند رحيلهم الى الغرب وعظيهم زناتة

واي جبل ضاع لي في الشريف ابن هاشم
 واي جبل ضاع قلبي جيلها
 قدنا سبعة ايام محبوس نجيبنا
 والبدو ما ترفع . عمردا يتولها
 نفل على احداث الثنايا سواربه
 بظل الحرفوق الصاوي نصباها

وقد سميت في هذه الرسالة طرفاً من عوائد البدو في الولادة والملابس والضيافة والولائم والزواج والموت والحرب والاحكام معتقداً على ما اتفق بالاختيار وما سمعته من نقات السياج والباحثين

الولادة

يرغب البدو في كثرة الأولاد ولا سيما الذكور الذين يتوفون باسم آبائهم ويرثون مناصبهم وممتلكاتهم . ويكرمون المذروحين أكثر من الذرب . وإذا ولد لاحد صبي قيم له الافراح والولائم ويحتمل اهل ربه لهتمته ويشربون التموة ويأكلون اللحم . وتجتمع النساء حول الرالدة يحادثنها اياماً وهي تعني بطفلها . الا ان النساء لا يمتدحن بانفسهن بعد الولادة ولا يتأهبن لها بل قد يلدن وهن على الطريق . وعندما يذب الطفل يملقون له الحرز والنود على رأسه وعنقه ويلبسونه الخلاخل في رجليه والحنق في اذنيه قصد الزينة . وفي نظر الآخرين عنه لكي لا يصاب بالعين ويلبسون البهات الخواتم والاساور ويزينونهن بالوشم على جباههن وشفاهن وايديهن . وحالما يكبر الصبي يبتدى في رعاية المواشي وركوب الخيل وتعلم الطراد

الملابس والاثاث

ملابس الرجال ثوب من القطن ابيض واسع الاكمام لها اذنان تسمى الاردان وهي عندهم بقمار الجيوب وبعضهم يلبس فوق الثوب قنباراً من الدبا او الحرير من صناعة دمشق او غيرها بحسب اقتضاه . واكابرهم يلبسون فوق القنبار حبة من الجوخ عريضة واسعة الاكمام وكلهم يلبسون العباة فوق اياهم ضيقاً وشتاءً وينتدون السلاح غالباً من غنارة وسف وشجر ويندقية . واشهر اسلحتهم الرمح الذي يجاله الفوارس واكثرهم يمتطون بمسطة من جلد بشدونها وقت الجوع ويرخونها وقت تناول الطعام ولذلك يقال ان البدوي يمتنع عن الطعام اياماً ولا تخور قواه . ويلبسون على رؤوسهم الكوفية والعقال واكثرهم يشون حنافة وبعضهم يحنون جزمة حمراء

اما ملابس النساء فتوب ازرق من الكمام طويل واسع البدن والاردان ومنطقة صوف يطوين عليها اثوابهن الطويلة ويرخينها الى الارض فيتوخم الناظر ائهن يلبسن ثوبين . واكثرهن يضعن اردائهن على رؤوسهن ويشدندن عليها يبدل ويرخين الاطراف الى الورا . وكلما كانت المرأة غنية زادت ثوبها طرلاً وعرضاً بحيث يلزم لبعض الاثواب ثلاثون ذراعاً او اكثر . وبعض النساء يوشدن اثوابهن بالحرير المختلف الالوان ولا سيما على الصدر ويلبسن في الولايم والافراح قميصاً من الحرير الابيض وقرقة قنباراً من الحرير او القطن مشقوق الجانبين الى اعلى الصدر وقرقة حبة قصيرة من الجوخ ويربطن على رؤوسهن مندبلاً اسود من الحرير او غيره وتخلين بحلي ذهبية فضية ويضعن اساور في ايديهن وخزامات في اذنين وخواتم في اصابعهن وقلائد في اعناقهن واقراطاً في اذانهن وخلاخل في ارجلن وصنوقاً من القنود على رؤوسهن على انهم رجالاً ونساء لا يعتبرون البذخ والنباهي بالاساس وبتاخر الثياب بل يحافظون على البساطة

أما بيوتهم فنجمة من النمر يسهل نقلها من مكان إلى آخر . وهم لا يسكنون عملاً واحداً بل يتنقلون في الأرض بحسب مقتضى الحال ولكل قبيلة منهم أرض تخصص بها لا تجاوزها إلا في سبب القتل فتنتقل إلى أرض قبيلة أخرى حيث تلقى من الأكرام ما عند العرب . وعندما تريد الرحول عن مدينتها يراون لها وليمة ويأخذون بدلاً منها هدية لشيوخهم

وبيوتهم من شعر الماعز وهي شتى يبيكها النساء طول كل منها نحو خمس أذرع وعرضها ذراعان ونصف فوصلونها مكوّنينها على اعنقة من خشب ويعمكون فيها

ويتسبون بيوتهم إلى أقسام بعضها لهم وبعضها للضيوف والزائرين وبعضها للنار والطبخ وغير ذلك كما سباني والذي تكون عائته كبيرة ونسأته كبريات يفرز لكل منهم خباء . ولا بد من بيت يتلون الضيوف فيه ضمن بيوتهم . وينصبون بيوتهم على شكل مستطيل أو دائرة يضعون في صدرها بيت الشيخ ليهتدي إليه الضيوف ويقعون المراتي وسط الدائرة خوفاً عليها من الذهب والسرقة . وإثائهم بسيط لا يذكر فائدهم إلا ما يلزم للنوم كفراش ولحاف ووسادة مع بعض الآنية الضامية والخشبية بما يلزم للطبخ ومناولة الطعام . وفي أكثر البيوت ينتمي الرجل بساطاً أو أكثر إذا كان غنياً يجلس عليه ضيوفاً . وعندما من النعم الخيل والحمير والماعز والغنم والبقر والجمال وهم يعتنون بتربيتها ويتنعمون بلبنها وسمها . ويعنون التمرة والمكر والسمن والأرز وغير ذلك . ويفخرون بالخيول الجياد التي يبدلون حياتهم والمال للحصول عليها . والبدوي يحب فرسه كفسه ولا يبيها إلا إذا لم يكن له مناص من ذلك . وخواص مشهورة بالجمال والحفاة والغريب أهم مشون حفاة ويتنون أجود الخيل

الضيافة

اشتهر العرب من قديم الزمان بكرم النفس والشهامة والقوة ودماثة الاخلاق ورحابة الصدر والسخاء وأكرام الضيف فنرى مشاهيرهم يذكرون بالكرم والندم بالخل . وهما كان البدوي فقيراً فلا بد من افراز قسم من بيوت للضيوف كما مرّ يعمل فيه التمرة للزائرين ويتلقى الضيوف بالاكرام ويبل كل ما في وسعهم لآكرامهم . وإذا دخل بدوي على قوم يأكلون جلس معهم وشاركهم في الطعام بلا دعوة . وأكثر الاحيان اذا دخل غريب على دار قوم تدعو امينة البيت فمدخله وبلقي الاكرام وان لم يدخل عدت ذلك سخاية منه او احتقاراً لها . وعندما يدخل الزائر يقوم له الكل اكراماً بحسب رتبته ثم يستوفى التمرة ثلاث مرات وبعد ذلك يسأونه عن عهدهم وسبب قدومه ويقومون بواجبات الضيافة فيدعون له نعمة او غيرها ويعنون له الدقيق ويطبخون الارز بالسمن ويندمونه على طبق (مسف) وينف صاحب البيت لخدمته ولو كان شيخاً . ومن العار ان يتأخر

احد عن حقوق الضيافة ولو اعدوه فاذا كان المضيف لا يملك الا نعيمة ذبيحة وقدمها والآعد
 لها بجلا يهدت الناس بخله. والرجل يذبح عن ضيفه ويحويه من كل عدي وينديه بنفسه واهله
 وعشيرته ولا يسبح بمه لئلا يعبر بين قبائل العرب. والضيف يعد نفسه من اصحاب البيت فاذا
 اغارت عليهم قبيلة اخرى ساعدته وانصر لهم واذا وقعوا في مشكلة اجهد في فضاها. واذا اكل
 احد من طعامهم بقي تحت حاجتهم وطولوا بسببه ايام وهذه يسونها للثقة. وقصصهم في ذلك
 كثيرة يفتن في المنام عن امة بنامه الآن

الولائم والافراح

البدو يحبون الولائم ولذلك تراه دائما يولونها ويفرحون في ايام السلم. واذا اول احدهم ذبيحة
 ذبيحة من التمر او الجمال او الماعز ووضعها على منسف ثم وضع فوقها ارزا او برغلا مطبوخا
 وسكب فوقها سمن كثيرا. وقام على خدمة ضيوفه لان جلوسه معهم واجب عندهم فيجلس اولاً الشيوخ
 والوجهاء وعندما يبعثون يأتي من هم بعدهم رتبة وينهض هولاء ويأتي غيرهم الى ان يأكل كل
 الرجل فيجل (المنسف) الى النشاء فياكلن بحسب رتبتهن ايضا. وفي الاعراس يختص لمن
 منسف. وبعض البدو يضعون في اسفل المنسف خبزاً وفوقه ارزا وفوقه ذبيحة. وعندما يتدنى
 الشيوخ بمناوله الطعام ياخذ اكبرهم قطعة من الرأس ويناولها للضيف. وهم يجلسون الى الولاية
 بدون دعوة رسمية وياخذون الارز بايديهم ويكثون كدلاً ويدفعونه باباهم الى انوافهم
 وحتى انتهى الطعام يبلون الثوب فيحبسونها ويغنونها حتى يمدت اقام شجبة بلد سماعها. وبعد
 اغلاها يسكب صاحب البيت فنجائاً له ثم يناول ضيوفه من كبيرهم الى صغيرهم. وهم يحبون الثروة
 حبا مفرطاً يحكم للثوب ويغنون بها فكون الذم من قهوة المدن وهي تقوم عندهم مقام المسكرات
 عند غيرهم

ولم اعياد كثيرة تذكر بعضها. منها انه عندما ينتهي النصف الاول من شهر رمضان يخرج
 البنات كل يوم بعد النشاء الى البرية وياخذن في الغناء والطرب وتبهن الشبان ويخطون معا
 ويقومون الافراح ويسهرون على هذه الحال الى الوقفة في رمضان فتزل البنات الى النهر لفضل
 قيامهن وينجن الشبان ويعطون البنات اثوابهم ليشانهن لم وياخذ الكل في الغناء والطرب.
 وعند الغروب يأتي احد الشبان بشاعر ويذبحها وليمة للثاقرين ثم يصرف الكل الى المضارب
 البنات حاملات الفصيل وهن يتشدن والشبان يطاردون ويرقصون ويقنون. وحتى وصل
 البنات الى البيوت يدخلها صفاً واحداً بعد ان تعطي كل واحدة شميلاً لامها. ويترحن قليلاً
 ثم يقوم الجميع ويلعبون بالدهكة الى ان يعبوا فينصرفوا الى بيوتهم ويذهب البنات في الغد الى

البرية ومن يشدون الأشعار ويتجهن الشبان ويطلقون البنادق ويننون . ثم يسابقون على الخيل
 فن سبق طلقت له الهيات ومدحجة . ثم تنف ابنة صديرة على كنف أخرى وتلوح بمندبل فن سبق
 حمد اليها ورفعها عن كنف رفيقتها ووجهها الى جانيه ورجع الى منجحة السباق . فان لم يستنه احد
 بفعل الابنة ويرجع بشرف عظيم وتطلق له البنادق وتكاثر عليه الهيات

ومن عوائدهم في الافراح زيارة مقام بعض الانبياء او ما اتى من الاماكن على اسم الاولياء
 كما في نواحي الحولة حيث يزورون مقاماً للنبي هوشع فيذهب الشبان والبنات في الثمر الملابس
 وهم يشدون الأشعار ويننون لأعاني المطربة وعند وصولهم يتجهن الذبايح ويضجون فوقها برغلاً
 ولذراً وسماً وبعد ان يأكل الجسوع يقوم البنات ويأمن بالدبكة وينصب الشبان غرضاً يطلقون
 عليه الرصاص جرياً على عوائدهم في الافراح . والبدو احرار في افراحهم ويرقص شبانهم وبناتهم
 في الافراح مما وهم مع ذلك من اهل العفة والطهارة

الاعراس

الزواج شرح واجب عند العرب وعرب و مرغوب فيه اذا كان العروسان صغيرين وسوق
 الغرام رائجة بينهم دائماً . وهم كثيراً ما يزوجون بناتهم من لا يان اليو وذلك بسبب علوات كثيرة
 وحروباً طائفة . ونسب الابنة له حتى فيها أكثر من الغريب ولا سيما اذا كان ابن عمها
 واذا احب شاب فتاة ولم يرض اهلها بتزوجها يهرس بها الى احدي القبائل المسالمة او المعادية
 فيعقد زواجها الشرعي خطيب تلك القبيلة حيث يقدم لها الاكرام الزائد مع الولايم الخائفة . ثم
 يذهب رجال هذه القبيلة مع اقارب الشاب الى والد الفتاة ويرضونه بالكلام وبعطونه عوض المهر
 مبرين فاذا رضي عاد الرجل بعروسه الى اهلك واقام الولايم والافراح واذا لم يرض تنور الحروب
 وصرق الدماء . واذا كان الزواج بائناق الجانيين حل العريس الى اهل العروس مهراً من
 من الماشية مثله بحسب رتبة العروسين ثم يوتي بالخطيب فيعقد لها ويذهب العريس الى بيتها مع
 عروسه وحينما تخرج العروس الى بيت ابيها يرافقتها رجال عشيرة زوجها ونساءها مشاة اذا كان
 البيت قريباً والا فيركب الرجال الخيول والنساء الهوادج ويضجون بها الى بيت ابيها فتنام لم الافراح
 في تلك الليلة وفي الصباح الثاني تركب العروس مع اختها او احدي رفيقاتها من قريباتها في
 هودج مخصوص برسلة العريس ويذهب الكلك الى بيت العريس وهم يغنون ويطاردون على
 الطريق وعند وصولهم تام الافراح وتندق الطبول وتنف الربابة ويرقص الرجال مع النساء
 وتبقى العروس الى ما بعد نصف الليل في خدر حاتنها ثم تنطلق الى خباتها . وفي الصباح يذبح
 اخو العروس ذبيحة بين رجالها ويولم بها اللربح . وبعد العرس بسبعة ايام تذبج العروس الذبايح

وتحملها مع اقرب انسباء العريس الى بيت ابيها وتقيم عنده ثلاثة ايام ثم تعود الى بيت رجلها ومعها من ابيها حمل او ثير او غير ذلك برسم المدينة مع قرشها وهي فراش ولحاف ووسادة او طنفسة . وعند ذلك يهبها زوجها قميصاً من الحرير وقنباراً من القطن وحلّي وعصابة للرأس وجزوة صفراء او ثوباً من الخام واذا كان من اصحاب الثروة فزيد لها في الحلّي والملابس . واذا كان العريس وامه غير قادرين على دفع المهر يطرق بيوت العربان فيهبونه ما تسمح به النفس ابنته مهراً

الموت

من قُتل عند العرب في الحروب والمغازي يُعدُّ شرفاً ولذلك فلما يجزئون على قبيل المحرب ولا يملون له مباحة الا ان النساء الثريات منه في النسب يقصن شعورهن علامة الحزن . واذا مات احدكم حنق انهو يجمع حوله النساء على شكل دائرة ويندبهن وتأخذ واحدة منهن سيفاً وترقص به وعندما يعبث من الدب والنوح باقي الرجال ويجلونه الى المنهارة حيث يوارونه التراب فان كان كميلاً عزوا احاطوا قبره بدائرة من الحجارة نظارها ١٠ انذام وعارها ٢٠ انذام ووضعوا فوق القبر قطعاً من الخبز والحديد والصوف والذئب ورموا ضمن الدائرة مهباج قهوة وسرج فرس قديم وآنية نحاسية مكسرة . وينصبون ثلثة اعمدة بقعوف على احداهما شعور النساء التي قصت حزناً على واذا كان شيخاً علوا له قبراً جميلاً ورسموا عليه ابريق الذهب والذاجين علامة الكرم وسيفاً وغنارات علامة لافتهناره واذا كان شاباً غنق له النساء وطارد الرجال على الخيل وغنوا وبكوا وحبوا بالسوف . واذا كان جباناً ناج على اقراره من النساء ورموه بنذيل من الحجارة وكذا يفعلون بالذي يموت في ديارهم من غير عشيرتهم واذا ماتت ابنة او امرأة يتوح النساء عليها ولا يرقصن الا اذا كانت من ابطال زمانها او صبية لامرأته . واذا مات رجل في الحرب على مقربة من بيوتهم يترجم بالتراب وبعض الحجارة واذا كان بعيداً ترك جنبه طاماً لوحوش البر وطور السباع واذا كان الميت مشهوراً بفضل اخذوه واياً واروا قبره ووضعوا عليه الانوار والمخرق . وهم اهل اوهام وخرافات . اخبرني بعض الكبارين انهم اقاموا رجعة من الحجارة ودعوها قبر عبد النور باسم شاب منهم فلم يضر عليها شهر حتى صار البدو يزورونها بالمخرق ويتبركون بها

المحرب والغزو

المحرب صناعة يتولاها البدو منذ نعومة اظفارهم الى ان يهتكم الكبر فمن اشتهر بها اكرم الاكرام الشديد وذاع صيته بالبطش والبسالة ومن لم يضمن القيام بها عد جباناً وصار مزوا بين قومه . ولما كان للبدو ولع بالمحرب كان اكثرهم من اصحاب الشجاعة والاقدام . وكلما اكثر البدوي من الساب والتهب عد بين ابطال خصمه ورقصت له نساء ربه وتسابقت الى محبته البنات . وكلما

قلت منازير والمواقع التي شهدها واشتهر بها قل اعتباراً بين قومي . وكلها قاسى من الاموال
والنغن بالجراح اكرم وعدت جراحة نياشين شرف . ومن هرب من ساحة القتال لم تقبله امرأته
في بيها بل عبرته بالدعاة والجبن وعد في الريع ندلاً مهاناً . واكثر حروب البدو ناتجة عن حب
الغزو والاخذ بالثار او خطف البنات او ارتكاب جريرة اخرى . وبشي ارادوا القتال صاح فيهم
الشيخ " الخيل يا اهل الخيل " فلا يضي الا الليل حتى تاهب الرجال وتعد الخيل والجبال .
فيركب الشيخ نائمة ويسير بالقوم الى المكان المنصود

والغالب في حروب البدوان يركب الجميع على الجبال ويقودون الخيل وراها ويكون مع
كل فارس جامل يتسلح ببندقية ومفلاع وطبر (فاس) ويسمى الجامل سكانياً . فيركب الاثنان
(الفارس والجامل) على جل حتى يتربوا من مكان القتال فيقف الجملة ثم وجالم خارج الخلة
ويتقدم الفرسان على خيلهم الى الحي ويدهمون اعلاهم فان عادوا غانمين رجعوا الى الجبال واعطوا
ركبها نصيبهم من السلب ورحلوا الى ديارهم . وان طاردم الاعلاء وتغلبوا عليهم التجأوا الى الجبال
واقاموا سوراً لهم من رماح الاعلاء وقد يستطيل عليهم اعلاؤهم فيقتلون منهم ويأسرون ويهربون جالمهم
ومن عادتهم ان ينقسم الفانزون الى ثلث فرق . الفرقة الاولى تدخل الحي لاخراج ما فيه من
المال والمواشي . والثانية تنف خارجاً على مقربة من الحرس للدفاع عن الفرقة الاولى اذا مست
الحاجة . والثالثة تنف بعيداً ترقب احوال الطريق وتعلم الحارين بدوم الاعلاء عليهم من احدى
الضواحي . وقبل الشروع بالنهب تتحالف الفرق الثلاث على عدم الخيانة واذا فازوا في الحرب اقتسموا
الغنيمة بحسب سنتهم وذلك ان القائد او الامير فيهم يأخذ الربع وان طبع فالثلث . ثم تختار الفرقة
الاولى نصيبها ثم الثانية فالثالثة

ومن عادتهم ان يجسوا الاواصي قبل اقتحامها حتى اذا راوا الغنمة عمالاً عادوا على اعناقهم
وسرفوا ما امكهم خفية . ويحل لكل منهم ان يسرق ويقتل لكي يشتهر وان لزم العفة واحترم المحقوق
رذل وحق قدره . واذا اغتم احد من شيئا بدون مطاردة اعطى الغنيمة للشيخ القبيلة ولكن اذا قتل
فارساً اثناء الحرب واغتمت فرسه صارت ملكاً لا يهارضه احد فيها

ويأخذون النساء معهم الى ساحة القتال كي يتبين بالجرى ويحمان الماء لرجالهم ويشجعهم على
الضرب والقتال وينبئهم لم اغاني الحاسة واذا هرب احد عبرته او قصر شدت منه . وقد تدخل
البنات ساحة الحرب ويهملن فيما لا تجز عن مثلها الرجال فيجزن مفاكاً ساءياً ومثقلة رقيقة
ويتناخر بهن ذووهن وتكثر على ابوابهن الطالب من الفرسان واولاد المشايخ والامراء ويصرن
سبياً لغنى اهلن وشرقاً لدينهن

وإذا انهزمت قبيلة في الحرب وانجأت الى قبيلة أخرى مسألة اعداءها تبذل هذه جهدها في اقامة السلم او تلازم المحايدة الا اذا كانت المتصدرة هي المذبذبة فتتصر للفرقة التي انجأت اليها .
 وإذا انجأت اليها الفرقتان تبذل الجهد ايضا في اقامة الوفاق او تسعف القبيلة التي انجأت اليها في الأول اذا كانت الاخرى مذبذبة وإلا فتلزم المحايدة . ومن قتل امرأة او اسر ابنة يهدد نعلته دون نعل الرجال ولا يذكر بين الغائبين . وإذا سنط فارس عن جناده لا ينقلونه ومن سلم لهم سلم ولو كان من الذم اعلمتهم ومن استنجدهم انجدوه برجالهم وبالمه وإذا مات احدكم في الحرب اكرموا اولاده وقاموا بمجاهات عائلته وقبيل الحرب بيكي عليه بكاء مرأ ولا يثنى اهله عن الاخذ بثاره . اما الاسير فيكرم ايضا وإذا نكح لا تنبئه البنات زرجا لمن الا بعد رد شرفه

شرائعتهم واحكامهم

البدو بعض الشرائع العادلة التي تنصف المظلوم وتبني بالجنابة على الظالم ويحكمهم بدعي (شرعا او عارفا) والكلم بطيمونه . وهو من مشايخهم الذين اختاروا امور الحياة فيبني بالانصاف ومن لم يتم بحكمه يقاض بالطرد والتعير . والاحكام عندهم ادا شرعية وهي ما تعانى بالدين كالزواج والطلاق . واما عرفية وهي ما تعانى بالامور الجنائية كالغزو والنيل وخطف البنات وغير ذلك

فاذا كان لاحد دعوى على آخر يلتجئ المدعى اليه الى بيت قوتلله المدعى من صاحب ذلك البيت ويصير مسعولا عن المتجئ الى داره فاذا كان هذا مذنباً يصر صاحب البيت المسألة كما يشاء ولا يفرجه الاثنان الى التفرع مع صاحب البيت الذي يجامى عن نزبله . وإذا قضى على المدعى عليه بعد هذا بالقيام بالامر بكفالة صاحب البيت والتداعي عندهم على هذه الصورة يحضر المتناعيان الى العارفي ومع كل منهما اثنان او ثلثة من اعيان عائلته ويجلسان في صدر الخل فيقول العارفي ان فلانا وفلانا قد حضرا اينقاضيا على النضية الفلانية فيحيب الحاضرون انهم يسمعون وحينئذ يأمرهما القاضي بان يرعنا بنادقهما او سيوفهما او غيرها على الخضوع للحكم ويقول ان الذي يحكم عليه يفك رهنه ويؤدى الى غريمه فينضم الحاضرون على اجراء ذلك . ثم يسرد المدعى دعواه والمدعى عليه ساكت وحينما يأتي على آخرها يأخذ المدعى عليه يبتلع عن نفسه ولا يعارضه احد حتى ينتهي فحينئذ يعرض القاضي القضية على الحضور فيجيبونه ان الحكم للشرع فيأخذ بسائل الخصمين ويحاجهما ويسائل الحضور في امرها ويسمع اقوال الشهود (ولا فرق عندهم في الشهود سواء كانوا رجالا او نساء او اولادا) ثم يبيدي حكمه . ثم ياتيها بشواهد وروايات عن احكام اسلافهم فيأترم المحكوم عليه بالقيام بالحكم ويأخذ الرهن الذي وضعه بعد ان يعطي القاضي نعيمة

ويوم الربيع وليلة ولا يتهاون عن القيام بالحكم وإذا عجز عن القيام به يقوم به أهل ربهو . ولا يستأنف حكم العارفي مطلقاً . وأعظم الجرائم عندهم اغتصاب البنث ثم التعدي على الناموس أو احتقار أهل الوجاهة . أما القتل فقلما يهتمون به ولا يحكمون على القاتل بالقتل لأن هذا يفر إلى غير قبيلته فيقتله . وحكم السرقة التعويض عن المسروق مثلاً . وقتل الأعداء وسرقتهم مباحة ولا مطالبة بهما إلا بأخذ النار بالسيف . ومن يسرق صاحباً يحكم عليه بتأدية المثل أربعة أضعاف ومن يتنل صديقاً يلزم بتأدية الدية وعلى أهل عشيرته أن يساعدوه عند اللزوم وعلى ورث المتنول أن يناسم أعيان عشيرته على دية مفاولة لكونهم ملتزمين بمساعدته لو كان قاتلاً وحكم عليه بدفع الدية وإذا عجز مديون عن وفاء الدين لائمه فالدين يأخذ المال من أقارب غريمه وله حق أن يستولي على مال أقارب المديون ولا يطالبة أحد بذلك

وهم يخضعون لمشايعهم خصوصاً تماماً . فلكل من فنود المشايخ شيخ يقضي في أحوال فئده فيأمر وينهى ويهدد من شاء ويقرّب من شاء . وإذا صار جمع جرية من فئده يأخذ نصف المجموع ويعطي النصف الآخر لشيخ الشيوخ وهو يررض الحكومة . وشيخ الشيوخ هنا ويسمى الأمير وشيخ الحكم هو حاكم العشيرة بكل فنودها وهو الذي يبايل الدولة عن كل مسألة لها علاقة بعشيرته وإلى ترجع المشاكل الكبيرة بين فئدة وفئدة . وله ريال على كل جبل يباع لتاجر من عشيرته بأخذة له البائع . وإذا غنم غزاة قومه خيلاً أحضرها له وإن تأخروا عن ذلك أرسل رجلاً في طلبها . وإذا مرّ بارضه عدد من الغنم من ٣٥٠ إلى ٤٤٠ أخذ عليها مئة غرش . وإذا قتل اجنبي رجلاً من رجاله يأخذ هو دية المتنول . فإذا كان القاتل من عشيرته يأخذ نصف الدية ويعطي النصف الآخر لشيخ فئدة المتنول وأهله

وبوجه العموم أقول أن البدو اصحاب نخوة وبروة عندهم من شرف النفس والكرم وحفظ العمود وصيانة العرض وإغاثة الملهوف وإعانة الضعيف وأكرام الضيف والجار وبمعاونة العيش في الملابس والماكل واجتناب التواش التي تضر بالهيئة الاجتماعية ما يجعل باعظم المالك المتبذة اقتباسة عنهم . ولكنهم بسطاء يصدقون الخرافات الكثيرة ويعتبرون التنجيم والحرر وإصابة العين ويصدقون بكتابة الأوراق التي تميل بقلب العاشق أو الممدوق إلى رفوة . ويحبون الماكل الحلوة ولا كانوا يلع في التدخين وشرب القهوة كولدعم في الحرب . انتهى

إذا أنت لم تشرب مرآرا على القدي ظميت وإي الناس تصفو مشارة